

التبيان في تفسير القرآن

(458) إنكم مستوفون لجميع المعائب إتيان الذكران وغيره، ويحتمل أن يكون بل لاسرافكم لاتفلحون. والاسراف الخروج عن حد الحق إلى الفساد. قوله تعالى: وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون (81) آية بلاخلاف. الوجه في قوله " جواب قومه " بالنصب أنه وقع الاسم بعد (إلا) موقع الإيجاب، وذلك أن ما قبلها إذا كان إيجابا كان ما بعدها نفيا، وإذا كان ما قبلها نفيا كان ما بعدها إيجابا، والجواب خبر يقتضيه أول الكلام، والغالب عليه جواب النداء والسؤال، ويكون على وجه كجواب الجزاء وجواب القسم وجواب (لو). أخبرنا في هذه الآية بما أجاب به قوم لوط (ع) حين قال لهم " إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين " كأنهم قالوا: بعضهم لبعض " اخرجوهم " يعنون لوطا وأهله الذين آمنوا به. والخراج نقل الشيء عن محيط إلى غيره، كما أن الإدخال النقل إلى محيط عن غيره. وقال الزجاج والفراء: أرادوا اخرجوا لوطا وابنتيه. وقوله " من قريبتكم " فالقرية هي المدينة، كما قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج، يعني رجلين من أهل المدن إلا أنه صار بالعرف عبارة عن مجتمع الناس في منازل متجاوزة بقرب ضيقة يأوى إليها للاكراء. وقوله " إنهم أناس يتطهرون " قيل فيه قولان: أحدهما - قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني يتطهرون عن إتيان الرجال في الأدبار فعابوهم بما يجب أن يمدحوا به. الثاني - أنه أراد يتطهرون يتنزهون عن أفعالكم وطرائفكم.